

شيء لا يقال ...

مراجعة بقلم تيسبي وليامز
ترجمة وتقديم من راحم الطائي



وبطلاته الحقيقيون بالامتلاء الجنسي الى جانب الرغبة العنيفة للحياة والعنف مثل مسز ستون في « مسز ستون في روما » وبطلة بيبي دول، وشعر سيرافينا بعد موت زوجها بانها « مثلثة بالحياة » وتذكر بانها كانت تتمتع بالحب معه كل ليلة من ليالي زواجها مدى اثنتي عشرة سنة وان « الفراش » كان لها بمثابة المهد ، وتصرح الام لابنتها في « فطة على سطح ساخن » ان مقياس الزواج هو « الفراش » وتقول ستيلان ان هناك اشياء تحدث ما بين الرجل والمرأة في الخفاء يبدو كل شيء تجاهها عديم الاهمية ! لذا فهي تعلق بزوجها الشهواني رغم شراسنه واعتدائه عليها .

ومن امثلة المقاتلة التي اشرنا اليها جون الابجابي في « صيف ودخان » والما السلبية ومرجريت الفطة على سطح ساخن وزوجها البارد جنسيا وايزابيل المندفمة وزوجها البارد ايضا والذي يصاب برجفة عصبية كلما تقدم نحو السرير في فترة التوافق .

وفي نفس الوقت فان هؤلاء الابطال والبطلات حسيون لا يميلون الى غير المتعة والنشوة . يقول جون في « صيف ودخان » : ليس هنالك على وجه الارض من هو افضل ممن يستخدم حواسه في سبيل المتعة ولا ما هو اخطر من المعاشرة الجنسية بين الرجل والمرأة فيسخر من تعلق حبيسته بالروحانيات ، وقد شعر شانون ان واجبه الحقيقي كدليل هو تقديم فرص الاحساس بالعوالم الخفية للناس .

ومثل هؤلاء لا يزايلهم القلق والتوتر ابدا ، وقد يلغون حشد الهستيريا ، خاصة عند النساء . ويرى شانون ان الهستيريا ترمومتر الطبيعة الانثوية ، هستيريا عصبية شبقية كما عند بلانش في « عربة اسمها الرغبة » وكارول في « اورفيوس هابطا » او هستيريا الخوف من الجنس كما عند الما في « صيف ودخان » والذكرى المؤلمة القهرية عند كاترين في « فجأة في الصيف الماضي » .

التحول .. الوحدة .. الصمود .. القلق .. التوتر .. الشبق هي اجواء المسرح السحري لوليامز وهي التي نجعلها جميعا مفتاحا لمفاتيح هذه المسرحية ونترك للقراء والنقاد الكرام مجال الكشف عن غوامضها : ما هو سر توتر وقلق كورنيليا ؟ . ما هي العلاقة الغامضة ما بينها وجريس ، ما هو موقف جريس الحقيقي منها . ؟ ما هو تركيبها النفسي ؟ واخيرا ما هو الشيء الذي لا يقال ما بينهما ؟ .

(الانسة كورنيليا سكوت في الستين من العمر ، نزية عانس من الجنوب ، تجلس الى منضدة خشبية صغيرة تتسع لشخصين . المقعد الثاني لم يشغل ابدا . امامها مزهرية من الكريستال فيها وردة وحيدة . محاطة وعلى المنضدة بجهاز تلفون ، صينية فضية ، اناء فصي مزخرف

منذ زمن طويل والناس يتحدثون عن تبدل الاشياء .. كل شيء يتغير .. كل شيء يتطور ... انك لا نعبز النهر مرتين .. ولم يقتصر الامر على الطبيعة بل تجاوزها الى المجتمع حيث عانت اعنى الانظمة والمؤسسات الهزات العنيفة وتسلل الانحلال الى اشد الروابط ناماسكا والقيم ثابا فامسى الفرد وحيدا ، يفغ على ارض رخوة ، لا يكساد يستطيع ان يمسك باي شيء دون ان ينهار ، وكان من حظ تنسي وليامز ان تنجسد كل هذه الاشياء امام عينيه في واقع الجنوب الاميركي ، اذ انهارت الاسر العريقة وتساقط الافراد تحت ركام النظم والقيم القديمة واذا بادبه خير مرأة للانسان الوحيد .. المسحوق .. المنهار حتى الجنون .

يردد « فال » في « اورفيوس هابطا » : « لا يمكن لانسان ان يعرف انسانا اخر ، لقد حكم علينا جميعا بالسجن الانفرادي مدى العمر داخل جلودنا ! » واخطر ما يتجسد هذا الشعور بالوحدة سواء اكنت بين اهلك وفي بلدك ام بعيدا عنهما عند معاناة الموت ، لقد سالت لادي جدتها ، وكانت قد قضت مدة طويلة ما بين الحياة والموت : ما شعورك وانت تموتين ؟ فاجبت : الشعور بالوحدة ! ويقول شانون في « ليلسة السحلية » : « الناس بحاجة الى العلاقات الانسانية » وضيغ هانا : « ان الناس يحاولون هدم الاسوار ما بينهم ولو لليلة واحدة ! » .

ومن خلال هذه التحولات الاجتماعية الكبرى وعلى هذه الارض القاحلة قد لا يجد المرء مناصا من ان يتخيل لنفسه سرايا ، علما وهما قائما بداته ، ومن هنا انقسمت حياة اغلب ابطال وليامز الى حياتين : واقعية وما فوق الواقع تمازجان احيانا الى درجة يصعب التمييز ما بينهما ، فيختلط عالم الواقع بالحلم او الخرافة او الرغبات المكبوتة او السحر . لذا يقول شالون : « اننا نعيش على مستويين ، مستوى الواقع ومستوى الخرافة ولكننا لا ندري ايهما الحقيقي » !

وازاء هذه الرؤية العادة لتفسخ الروابط والابنية والقيم الاجتماعية وتحول الاشياء يشتد احساس وليامز بالزمن « ما اسرع ما يمضي الزمن ، لا شيء يسبقه ، ان الموت ياتي ميكرا فلا يكاد المرء يعرف شيئا عن الحياة حتى يجد الموت امامه » فينقلب هو الاخر - الزمن الى عنصر فساد وتعفن للاشياء والناس . واكثر ما يشتد الاحساس في المدن « المصابة بمرض انوار النيون » لذا يهرب منها ذوو الشعور المرهف مثل كارولين في « اورفيوس هابطا » .

ولكن ادب وليامز لا يمضي في التشاؤم والسواد الى اقصاه اذ سرعان ما ينطلق عنصر القوة والحياة والخصب . ولما كان المسرح بنظره ما يقدم المعاني الاخلاقية في مواقف جدية فلم يجد مانعا من المقاتلة ما بين نموذجية من الافراد في المسرحية الواحدة : الضائع الفاشل المنهار والعنيف الشبق الطليق .

فهناك اناس صامدون في المركة يصارعون الضياع والتفسخ والكتب بما امتازوا به من حيوية و ارادة صارمة ، وقد كان الجنس عند وليامز رمزا لهذه الارادة وهذه الحيوية كما كان عند فرويد اسما اخر لقوة الحياة « ابروس » ومنتخذا معنى الثورة على واقع الانحطاط الاقتصادي والاجتماعي وعمية الانسان وانسحاقه . ويتميز ابطاله

للقهوة . تبث القطيفة الأرجوانية التي تغطي ما خلفها مباشرة شعورا
بالإبهة وهناك حالك مهمل في نهاية المنطقة المصاة . عندما رفع السنار
كانت تدير رقما في جهاز التلفون)
كورنيليا - هل هذا منزل السيدة هورتن ريد ؟ أنني اتحدث بالنيابة
عن الانسة كورنيليا سكوت . انها تمتد عن عدم استطاعتها حضور
اجتماع جمعية الفتيات عصر هذا اليوم فقد نهضت من الفراش هذا
الصباح وهي مصابة بالتهاب في البلعوم مما اضطرها للبقاء فيه، فارجو
تقديم اعتذارها الى السيدة ريد وتعلم بفيابها مقدما ... شكرا ..
اوه لحظة واحدة ! يظهر ان لدى الانسة سكوت رسالة اخرى .
(جريس لانكستر تدخل المساحة المضيئة . ترفع كورنيليا يدها
في اشارة تحدير) ماذا ... الانسة سكوت ؟ (وقفة صغيرة) اوه !
تود الانسة سكوت ان تترك كلمة للانسة ايزميرالدا هوكنز بان تتصل
بها حالا تصل . شكرا . مع السلامة (تترك السماعه) تلاحظين انني
قد مثلت دور سكرتيري هذا الصباح !
جريس - كان الضوء شاحبا لدرجة انه لم يستطع ايقاظي .
(جريس لانكستر في الاربعين او الخامسة والاربعين ، شاحبة
لكنها لا زالت جميلة ، شعرها الأشقر الذي يشويه الشيب قليلا، عيناها
العميقتان ، منظرها الرقيق ، في رداها الحريري الوردى ما يمنحها
جميعا صفة الضعف على نقيض تام من الإبهة الرومانية للانسة سكوت .
هناك توتر خفي بين الاثنتين ، جو يوحي بشيء لا يقال)
كورنيليا - لقد فتحت البريد تورا .
جريس - هل هناك من جديد ؟
كورنيليا - بطاقة من ثيلما بيترسون من مايو .
جريس - اوه كيف حال ثيلما ؟
كورنيليا - هي تقول بانها « تتقدم بصورة حسنة » ذلك يدل على
شيء كثير .
جريس - اليس لديها شيء تغير ؟
كورنيليا - عدة اشياء كما اظن .
جريس - اوه .. هنا مجلة « الرسائل » نصف الشهرية .
كورنيليا - هذا ما يثير دهشتي . لقد ظننت بانني قطعت اشتراكي
بهذه المجلة .
جريس - حقا كورنيليا ؟
كورنيليا - بالتأكيد، انت تذكرين انني قطعت اشتراكي حال صدور
ذلك العدد الذي حمل ذلك الهجوم البذيء على ابن اعمي ، سيسيل
تويتلر بيتسي ، القصصي الموهوب الوحيد الذي انجبه الجنوب منذ
توماس نيلسون بيچ .
جريس - اوه .. نعم .. انا اذكر ، لقد كتبت رسالة احتجاج الى
محرر المجلة واستلمت ردا وديا من المحرر الاول المدعو كارولين مما ادى
الى ارتياحك التام فتراجعت عن قطع الاشتراك .
كورنيليا - انا لم ارتج ابدا لا بصورة تامة ولا جزئية من الاجوبة
الودية ، واذا كنت قد كتبت الى رئيس التحرير وتلقيت جوابا من محرر
اول فان رد الفعل لذلك النوع من الوقاحة لدي يصعب تسميته بما
تدعيه ارتياحا .
جريس (في محاولة لتغيير مجرى الحديث) : اوه .. هنا
الكتالوغ الجديد لمخزن الحاكيات في اطلانتا .
كورنيليا (مع ايماءة) : نعم انه هناك .
جريس - اراك قد اطلعت على عدة حقول فيه .
كورنيليا - اظن انه ينبغي زيادة مجموعتنا من لايدر .
جريس - اراك قد لاحظت قطعة سييلوس التي اشتريتها احيرا .
كورنيليا - ان فيها خدشا صغيرا (تنفس بعمق ثم تنهت، يرتكز
نظرها على التلفون الصامت) انت تلاحظين ايضا بانني قد اشرت على
عدد من مختارات الاوبرا .
جريس (متممة اثارها) : اين .. اية اوبرات .. انني لم الاحظ
ذلك .

كورنيليا - لماذا انت نائرة هكذا بشأن الكتالوغ .. عزيزتي ؟
جريس - انا اهميم بالاسطوانات المسجلة .
كورنيليا - اود لو انك كذلك بما فيه الكفاية لرجعت بهسا الى
اغلفتها الورقية في الايوم .
جريس - اوه .. هنا فيفالدي الذي نريده !
كورنيليا - لسنا « نحن » عزيزتي ، فقط أنت .
جريس - الست « انت » كورنيليا ؟
كورنيليا - اظن ان فيفالدي ليس الا شيحا لباخ .
جريس - كم هو غريب ان املك انطباعا بانك ... (يرن التلفون)
هل احبب ؟
كورنيليا - لطفا .
جريس (ترفع السماعه) : منزل الانسة سكوت (يصدر هذا
الاعلان بصوت وقور كما لو كان يعلن عن مكان مقدس) اوه .. كلا ..
انا جريس وكورنيليا بجانيبي (تترك السماعه) ايزميرالدا هوكنز .
كورنيليا (بتجهم) : كنت اتوقع نداءها (في التلفون) هالو ،
ايزميرالدا عزيزتي ، كنت اتوقع نداءك . من اين تنادينني الان ؟ انا
اعرف انك تكلميني من الاجتماع ... ها ها ! ولكن من اي تلفون في
البيت ، هناك اثنان كما تعلمين ، الاول في قاعة الطابق الاسفل والثاني
في غرفة المخدع حيث يحتمل ان تكون السيدات قد نزعن معاطفن .
انت في الطابق الاسفل اليس كذلك ؟ حسنا في هذا الوقت انا اخمن
ان كل الفتيات قد اجتمعن فعلا . الان اصعدني الى الطابق العلوي
وكلميني ثانية من هناك حيث يستطيع المرء ان يتكلم بحرية اكثر قليلا .
عزيزتي كذلك اريد ان اوضح موقفك تماما قبل ان يبدأ الاجتماع .
شكرا عزيزتي (تترك السماعه وتنتظر بتجهم الى الفضاء) .
جريس - جمعية الفتيات .
كورنيليا - نعم . يجرون الانتخاب السنوي اليوم ..
جريس - اوه كم هو مشير ! لماذا لم تحضري الاجتماع ؟
كورنيليا - فصلت عدم الذهاب .
جريس - فصلت عدم الذهاب !!
كورنيليا - نعم فصلت عدم الذهاب (تلمس صدرها . تلهث كما
لو انها صعقت درجا ركضا) .
جريس - ولكنه الانتخاب السنوي للمسؤولين .
كورنيليا - نعم قلت لك انه كذلك . (جريس تسقط معلقة .
كورنيليا تصرخ وتلفظ من مكاتها) .
جريس - انا متأسفة (تدق الجرس للخادم) .
كورنيليا - انها مؤامرة ، مؤامرة وخدعة اثارني بحيث لا استطع
التنفس في مثل ذلك الجو ! (جريس تدق الجرس بشكل اقوى) لماذا
تدقن الجرس ؟ انت تعلمين ان لوسيندا ليست هنا .
جريس - انا متأسفة جدا . اين ذهبت لوسيندا ؟
كورنيليا (بهمس مبوح يكاد لا يسمع) هناك مناسبة فخمة في
المدينة (تشد على حنجرتها بقوة وتعيد العبارة) .
جريس - اوه عزيزتي لديك التهاب في الحنجرة .
كورنيليا - لا نوم ... لا نوم في الليلة المنصرمة .
(يزعق التلفون بين يديها فتصرخ وترمي به كما لو كان قطعة من
الجمر) .
جريس (ترفع التلفون) : منزل الانسة سكوت اوه . لحظة واحدة
رجاء .
كورنيليا (تخطف التلفون) : ايزميرالدا هل انت الان في الطابق
العلوي ؟
جريس (في همس عال) انها ليست ايزميرالدا . انها السيدة
س. س. برايت !
كورنيليا - لحظة واحدة . لحظة واحدة . لحظة واحدة (تدفع
التلفون ثانية الى جريس مع نظرة غضب) كيف تجرؤين على جملي على
الخط مع هذه المرأة ؟

جريس - كورنيليا ، لست انا ، كنت عازمة على سؤالك حالا فيما لو كنت ...

كورنيليا - هشي (تفز من مكانها وتحقق فيهما) الان ناويلني التلفون (تناولها اياه ببرود) . ماذا استطيع من اجلك رجاء ؟ اخشى الا تفتح حديقتي هذا الربيع للزوار . اظن ان تهذيب الحدائق هواية جميلة وليس برياضة تنافسية . الزوار المنفردون سيجدون رحبا اذا صدرت اليهم الدعوة سلفا حتى استطيع افساح المجال لهم لرؤية كافة جوانبها بواسطة البستانيين . ولكن لن يكون هناك فرق من الزوار بعد ان اتلفوا الحديقة في الربيع الماضي . انهم يأتون مع كلابهم ويحزمون الورد ، وانت على الرحب والسمة الكلية . وداعا (تعيد التلفون الى جريس) .

جريس - اظن ان اثار الانتخاب كانت تقل فيما لو كنت حاضرة فيه كورنيليا .

كورنيليا - لا ادري عما تتحدثين .

جريس - هل انت مستعدة لمرکز معين ؟

كورنيليا - استعد لمرکز . ما هو الاستعداد للمركز ؟

جريس - لماذا . ها ها . تتلهفين على شيء ما ؟

كورنيليا - هل تعرفين انني اتلف نحو اي شيء يا جريس ؟ عندما اقبل اي منصب في مجتمع او ناد فانما تحت الحاح الاعضاء . انا في الحقيقة اكره المناصب . ولكن هذا شيء مختلف ، مختلف كليا . انه امتحان . انت تلاحظين انني اعلم اشياء معينة الان . هناك فئة صغيرة زمرة في الجمعية يحملون العداء لي .

جريس - اوه كورنيليا انا متأكدة من انك على خطأ .

كورنيليا - كلا هناك حركة ما ضدي .

جريس - حركة ؟ حركة ضدك ؟

كورنيليا - حركة منظمة لابعداي عن اي منصب هام .

جريس - ولكن هل كنت تحملين مسؤولية هامة دوما في اللجنة كورنيليا - لم اكن نائبة فيها قط .

جريس - هل تريد ان تكوني نائبة ؟

كورنيليا - كلا انت تسيئين فهمي . انا لا اريد ان اكون نائبة .

جريس - اوه ..

كورنيليا - انا لا اريد ان اكون اي شيء مهما كان . اريد ببساطة تحطيم هذه الحركة المضادة لي ولهذا الغاية اجمع كل قواي .

جريس - فواله ؟ (تخرج شفتاها قليلا كما لو كانت تميل بصورة فاهرة للابتسام) .

كورنيليا - نعم لا زال لدي بعض الاصدقاء في اللجنة الذين يقاومون الحركة .

جريس - اوه ..

كورنيليا - اتلقى المعونة الراسخة من كل اعضاء المجلس الاقدم .

جريس - لماذا . اذن ليس هناك ما يدعو للقلق كما اظن !

كورنيليا - لقد اخذت اللجنة بالانساع كثيرا في الاونة الاخيرة ، والحقيقة الشائنة ان هناك نساء يعترفن بعدم اهميتهن في الاجتماع الكنسي الثاني المتوقع .

جريس - لكنه لا زال مجتمعا وطنيا في الحقيقة ..

كورنيليا - عزيزتي جريس . هناك طائفتان لجمعية الفتيات في مدينة ميرديان ، هناك لجنة فورست للمجتمع الواطء والطائفة التي كان يظهر ان لديها شيئا صغيرا من الرقعة ! انا لست طفيلية ولن ارضى ما لم تكن هناك ديمقراطية . انت تعرفين ذلك لكن ... (يرن التلفون . كورنيليا ترفع السماعة وتطيبها لجريس) .

جريس - منزل الانسة سكوت . اوه . نعم لحظة واحدة (تعطي السماعة الى كورنيليا) انها ايزميرالدا هوكنز .

كورنيليا (في التلفون) هل انت في الطابق العلوي الان ؟ حسنا انني مستغربة فقد استغرق نداؤك مرة ثانية وقتنا طويلا . اوه ولكن اذكر انك قلت ان موعد الغداء قد انقضى . حسنا انا مسرورة لتقوية

نفسك بشيء من الطعام . ماذا احتوت المائدة ؟ الدجاج الملوكي ! هل تعرفينه . انه من اختصاص اميليا المسكينة ! .. مع قطع من الفلفل والفطر الطري فيه . ماذا فعلت السيدات اللواتي ياخذن درجة حرارتهم ؟ اوه اعزائي المساكين ! وبعد ذلك كان هناك عصير الليمون الحلو مع اصابع العروس . ماذا ؟ عصير الليمون الحامض وبدون اصابع العروس ؟ يا له من تحول مفاجئ ! انا مستغربة جدا ! هوهوهوهو . (تسمى مهتزة نحو الكوب) الان ماذا هناك ؟ درس برنامج الحقوق المدنية ؟ ثم ياخذون الاصوات بعد نصف ساعة ! الان ايزميرالدا اتمل انك فهمت موقفي جيدا . لا ارجب في تحمل اية مسؤولية في اللجنة بدون تصويت . انت تعلمين ماذا يعني ذلك ، اليس كذلك ؟ انه دورة برلمانية . عندما يعين امرؤ في منصب ما بالاجماع فانه يعني انه لم يؤخذ اي صوت ما . وبكلمة اخرى .. الانتخاب الالي ، البسيط ، بالتعيين وبدون معارضة . نعم عزيزتي انه ابسط من ذلك . لقد كنت امينة صندوق في ثلاث دورات ، مرتين سكرتيرة ومرة راعية كنيسة . كم هو منصب كئيب مع تلك الصلوات الطويلة المملة لبيت الجمعية ، ومجموع ذلك اربعة عشر عاما فقيمتها في خدمة المجلس ، تأملي ! حسنا ان الامر اصبح واضحا الان . اذا كانت الجمعية تشمر بانني قد برهنت على قابلياتي واخلصي بجدارة تكفي لتسميتي نائبة للرئيس بدون اخذ الاصوات ، عن طريق التصويت بالاجماع .. لماذا ثم بالطبع اني اضبح مرغمة على القبول (يرتجف صوتها بانفعال) ولكن اذا ، الاحتمال الاخر ، الـ ٥٥ .. الزمرة ! انت تعرفين الذين اعنيهم ! هل تكفي الشجاعة لترشيح اي شخص اخر للمنصب - هل تفهمين موقفي ؟ فسي هذه الحالة ، وهي صعبة التصور افضل اجمال الموقف كلية . وعندما نفع الحالة الاخرى المسماة وتكرر يجب ان انطلق انا حالا بدون اي قيد او شرط هل ان ذلك مفهوم تماما ايزميرالدا ؟ وبعد حسنا ارجو عودتك الى الطابق الاسفل الى الاجتماع . اختاري دجاجتك الملوكية ، عزيزتي ، ثم ناديني ثانية من تلفون الطابق العلوي حالما يكون هناك ما يقال لي . (تعلق السماعة وتبخلق بتجهج في الفضاء . جريس ترفع قطعة من الليمون بشوكة فضية صغيرة) .

جريس - الم يكن لديهم قط ؟

كورنيليا - لديهم ماذا عزيزتي ؟

جريس - الانتخابات .

كورنيليا - كلاب كلا ابدا ، يظهر انه على وشك الوقوع لذا ...

جريس - كورنيليا لماذا لا تفكرين بشيء الا بعد ان ينقضي ؟

كورنيليا - ما الذي يجعلك تعتقدين انني قلقة بشأنه ؟

جريس - انك .. انك تتنفسين بسرعة !

كورنيليا - لم اتم جيدا الليلة الماضية . كنت تناورين حول المنزل مع تلك الصرة .

جريس - انا مناسفة جدا . انت تعلمين ان لا شيء هناك . انه تقلص عضلي ينجم من الاجهاد .

كورنيليا - اي اجهاد ياتي منه جريس ؟

جريس - اي اجهاد ؟ (تنفوه بضعف ، ابتسامة حيري) لماذا انا لا اعلم ...

كورنيليا - اجهاد ماذا ؟ هل تودين ان اقول لك ؟

جريس - المعذرة (تهض) .

كورنيليا (بشدة) الى اين انت ذاهبة ؟

جريس - الى الطابق العلوي للحظة واحدة ! لقد تذكرت الان ان علي تناول قطرات البلادونا !

كورنيليا - انه ليس حسنا بعد الطعام .

جريس - اظن ان ذلك صحيح .

كورنيليا - ولكنك تريد الهروب ؟

جريس - لا طبعا .

كورنيليا - في الاونة الاخيرة واعدة مرات اخذت تبتمدين منسي هاربة كما لو كنت اهدك بسكين فجأة .

٦٢

جريس - كورنيليا كنت هاربة !

كورنيليا - يحدث هذا دائما عندما يكون هناك شيء يقال غالبا ما بيننا ! ... يوشك ان يقال .

جريس - انا اكره ان اراك هائجة بعد ظهور نتائج انتخابات ناه سخيف للنساء .

كورنيليا - انا لا اتحدث من الجمعية ، انا لا افكر حتى فيهم انما . جريس - اتمنى ان تلقي ذلك من ذهنك نهائيا . هل الوقت مناسب لعزف بعض المسجلات الان . دعيني اصعب سيمفونية على الجهاز . كورنيليا - كلا .

جريس - ما رايك في باخ على البيانو والايوتار ، القطعة التي استلماها في عيد الميلاد من جيسي وجاي ؟ كورنيليا - كلا ، قلت لك كلا ، كلا .

جريس - شيء خفيف وهادي . مثل انشودة «الشيخ الفرنسي» اممكن ذلك ؟

كورنيليا - ما هو الشيء المحظور التحدث فيه فيما بيننا ؟ اي شيء نتجنب الخوض فيه عندما لا تكون الخادم في البيت خاصة ؟

جريس - اوه ، هذا هو الشيء المطلوب ! (تدع الحاكي يعمل . لاندوسكا يعزف المختارات . الحاكي في اقصى المساحة المضاءة او خارجها تماما . كورنيليا تنظر بغيظ نحو جريس وهي تستعيد مقعدها بدلال مصطنع ، تشبك يديها وتقلق عينيها في ذهول) اوه كم هو بديع ، رقيق ، صاف يبعث على الانشراح ...

كورنيليا - نعم وغير مخلص تماما !

جريس - الموسيقى ؟ غير مخلصه ؟

كورنيليا - بالضبط ! انها « تطلق اشياء » بدلا من النطق بها .

جريس - الموسيقى تعاويد الالهة لتسكين الكائنات الهائجة .

كورنيليا - اوه ، نعم اذا سمحت لها الكائنات الهائجة .

جريس - اوه .. الصفاء .. الصفاء .

كورنيليا (بحقد) : لوندوسكا فتان الانعام الرقيقة .

جريس (بشفف) : وكذلك هو ذو وجه نبيل وبروفيل اجمسل

واقوى من اديث ستيويل . بعد هذا ستعزف (فاسيدا) ايدث ستيويل

(« جين ، جين ، طويلة كالرافعة .. ضوء الصباح ينزلق ثانية ») .

كورنيليا - عزيزتي ، هل هناك شيء فشلت في ملاحظته ؟

جريس - اين ؟

كورنيليا - تحت انفك مباشرة .

جريس - اوه تعنين وردتي .

كورنيليا - اجل اعني وردتك .

جريس - طبعاً لقد لاحظت وردتي منذ اللحظة التي دخلت فيها

الغرفة . رايتها هناك .

كورنيليا - لم تصدر منك اشارة الى ذلك .

جريس - لقد فعلت ولكنك كنت قلقة بشأن الاجتماع .

كورنيليا - انا لم اكن قلقة بشأن الاجتماع .

جريس - لن اقدم الشكر من اجل هذه الوردة اللطيفة ؟

المستخدمني الكريمة ؟

كورنيليا - ستجدين اربع عشرة وردة اخرى في مكتبك عندما

تذهبين للعناية بالرسائل .

جريس - اربع عشرة وردة اخرى !

كورنيليا - والجموع خمس عشرة .

جريس - كم هو مدهش : لماذا خمس عشرة ؟

كورنيليا - كم مضي عليك وانت هنا ؟ كم من الوقت جملت فيه

هذا البيت بيت الازهار .

جريس - كم هي طريقة جميلة لتقديمها ، طبعاً لانني سكرتيرتك

منذ خمس عشرة سنة !

كورنيليا - رفيقتي خمس عشرة سنة ! وردة لكل سنة ، سنة لكل

وردة !

جريس - يا له من تعبير جميل عن المناسبة . كورنيليا - فكرت في اول الامر بالذليء ثم فكرت كلا .. الوردون لكن من المحتمل ان امنحك شيئاً ذهبياً .. ها ها ! السكوت من ذهب .. هكذا يقولون .

جريس - اوه عزيزتي . ان ذلك الجهاز الاحمق لا زال يمزف نفس الممزوفة .

كورنيليا - اتركها .. اتركها .. انا احبها .

جريس - دعيني الان ...

كورنيليا - اجلسي . في صباح السادس من تشرين الثاني منذ خمس عشرة سنة مضت ، عندما يكون المرء لطيفا جدا ومهدبا وهادئا ! وصلت ارملة خجول ، صغيرة ، صغيرة تماما الى درايڤ في اول الامر . الفصل كان خريفا . كنت اصعب الاوراق المتساقطة حول شجيرات الورد لتحميها من الصقيع . وسمعت وقع اقدام على الحصى ، خطوات خفيفة ، سريعة ، رقيقة كالربيع عندما يأتي في منتصف الشتاء ، ونظرت الى اعلى وبصورة كافية طبعاً .. كان هناك الربيع ! شخص صفيير بحيث ان الضوء الذي يشع منه كان رقيقا كما لو كانت هي مصنوعة من قماش حرير مظلة بيضاء . (جريس تسكت تحظة ثم تضحك بفزع) (بفضافة وكأنها مصابة) لماذا بضحكين ؟ لماذا تضحكين هكذا ؟

جريس - انها انطلقت .. ها ها انطلقت مثل المقطع الاول من قصة في مجلة نسائية .

كورنيليا - ما هي الاشارة القاطعة !

جريس - انا لا اعني به على هذا النحو ، انا ..

كورنيليا - بأي شكل اخر اذن تمنين به .

جريس - كورنيليا ، انت تعلمين كم انا ، انا دائما ارتبك من التعاطف قليلا الست كذلك ؟

كورنيليا - نعم . الخوف من أي شيء يفضح بعض المشاعر ! جريس - الناس الذين لا يعرفونك جيدا ، وهم تقريبا كل الناس الذين نعرفهم ، يندهبون من سماعتك ، كورنيليا سكوت ، تلك السيدة المهذبة الوقور تعبر عن نفسها بهذا الاسلوب الوجداني . كورنيليا - الناس الذين لا يعرفونني جيدا هم كل الناس ! نعم اظن حتى انت ؟

جريس - كورنيليا يجب ان توافقني على ان هذه الفكرة لا تليق بك !

كورنيليا - هل هناك ما يشبهني غير السكوت ؟ (الساعة تدق

بقوة) هل قضيت علي بالسكوت مدى الحياة ؟

جريس - انه تماما لا يشبهك ل ..

كورنيليا - لا يشبهني . لا يشبهني . ماذا تعرفين عما يشبهني او

لا يشبهني !

جريس - انت تنكرين ذلك ، كورنيليا ، مثلما انت فعلت رجاء ،

ولكن من الواضح بالنسبة الي انك غير مرتاحة تماما بسبب مشاعرك

القلقة حول انتخابات جمعية الفتيات .

كورنيليا - هل هناك اهانة اخرى مظلمة برقة ؟

جريس - اوه ، كورنيليا .. ارجوك !

كورنيليا (مقلدة حركتها) اوه ، كورنيليا .. ارجوك !

جريس - اذا كنت قد اخطات فارجوك المذرة ، اقدم اعتذارتي

المتواضع جدا من اجل ذلك .

كورنيليا - انا لا اطلب اعتذارا منك . (هدوء متأزم . الساعة

تدق . تندفع جريس فجأة الى الامام للامسة يد الانسة سكوت ذات

العروق البارزة والمجلاة بالمجوهرات . كورنيليا تسحب يدها جانبا كما

لو مستها النار) .

جريس - اشكرك من اجل الورد .

كورنيليا - لا اريد شكرا منك ايضا ، كل ما اريده هو بعض العطف

المتبادل ، ليس الكثير بل القليل وفي بعض الاحيان .

جريس - لك ذلك دائما كورنيليا .

كورنيليا - وشيء اخر ايضا . قليل من الكلام الصريح .

جريس - الكلام الصريح ؟

كورنيليا - نعم ، الكلام الصريح ، اذا لم يكن من الصعوبة رجاءه من سيده متباهية شابة مثلا !
جريس (تنهض ازاء المنضدة) : انا لست متباهية كما ولست شابة يا كورنيليا .

كورنيليا - اجلسي . لا تتركي المنضدة .

جريس - هل هذا امر ؟

كورنيليا - انا لا اعطي اوامر لك . انا اوجه رجاء !

جريس - يصعب في بعض الاحيان تمييز رجاء المخدم من اوامره (تجلس) .

كورنيليا - ارجو تغيير التسجيل . (تنهض جريس وتسكت

الجهاز) جريس ! الا تشعرون ان هناك شيئا لا يقال فيما بيننا ؟

جريس - كلا كلا ، لا اشعر بذلك .

كورنيليا - انا اشعر ، اشعر منذ فترة طويلة بشيء لا يقال فيما

بيننا .

جريس - الا تعتقدان ان هناك دائما شيئا لا يقال بين اثنين من

الناس ؟

كورنيليا - لا ارى سببا لذلك .

جريس - ولكن الا توجد اشياء هائلة بدون اسباب ؟

كورنيليا - دعينا لا نقلب الموضوع الى جدل ميتافيزيقي .

جريس - حسنا ولكنك تجعليني في حيرة .

كورنيليا - انه بسيط جدا . فقط اشعر ان هناك شيئا لا يقال

فيما بيننا وينبغي ان يقال .. لماذا تنظرين الي هكذا ؟

جريس - كيف انظر اليك ؟

كورنيليا - بفزع عميق .

جريس - كورنيليا .

كورنيليا - انت .. انت ولكنني لن اسكت !

جريس - استمري ، استمري ارجوك .

كورنيليا - انا مستمرة ، اريد اريد انا - (يدق التلفون ، تنجه

جريس نحوه) كلا كلا اتركه ليرن . (يستمر في الرنين) اسعبيه من

محلته !

جريس - هل تتركيني ..

كورنيليا - من محله قلت لك ! (تسحب جريس التلفون من محله .

صوت يقول : هللو هللو) .

جريس (فجأة تنسج) : انا لا اقدر عليه .

كورنيليا - صمتا . هناك من يستطيع سماعك !

صوت - هللو هللو ! كورنيليا ! كورنيليا سكوت ! (كورنيليا ترفع

السماعة ثم تعيدها بصمت) .

كورنيليا - اوقفني ذلك الان ! اوقفني تلك الخدمة العمياء .

جريس - قلت ان هناك شيئا لا يقال ، يمكن ان يكون ذلك ، انا

لا اعلم ولكنني اعلم اشياء قضى عليها السكوت ، اعلم كذلك ان الصمت

عندما يمضي لفترة طويلة ما بين اثنين يصبح كالجدار الذي لا يمكن

اختراقه ! من الممكن ان يكون بيننا ما يشبه ذلك الجدار . جدار لا

يمكن اختراقه . او من الممكن أنك تستطيعين هدمه . انا شخصيا لا

استطيع ذلك . لا استطيع حتى محاولة ذلك . أنك الشخص الاقوى ما

بيننا . تعرفين ذلك بالتأكيد . كلانا قد تحول الى الشيب ولكن ليس

من نفس النوع . في ذلك اللباس المخملي ما يجعلك تشبهين الامبراطور

تير في لباسه الامبراطوري ، ان شعرك وعينيك مما في لون الحديد ،

الحديد الرمادي . النظرة التي لا تقهر ! ان كل الناس يشعرون برعب

خفيف منك ، يشعرون بقوتك ومن اجلها يعجبون بك . ياتون الى هنا

لاستطلاع رايتك في هذا وذاك .. اي المسرحيات جيدة هذا الموسم في

برودواي .. اي الكتب تستحق القراءة ، اي الكتب تافهة ، اي

الاسطوانات قيمة ، واخيرا ما هو الموقف الصائب من اللوائح المعروضة

على الكونغرس ! اوه انك منبع الحكمة واطافة الى ذلك فلنك ..

ثروتك ! نعم لك نصيبك من النجاح ! لك عقاراتك الحقيقية ومخزوناتك
وثائقك ، قصرك في ايدج ، سكرتيرتك الخجولة الصغيرة ، حدائقك
الخيالية التي لا يستطيع الزوار الدخول اليها ..

كورنيليا - اوه نعم ، أنت تتكلمين ، اخيرا تكلمت ! استمري رجاء
استمري في الحديث .

جريس - انا اختلف تماما ! تحولت الى الشيب ولكن بشكل اخر ،
ورماديتي تختلف ، ليست حديدية كما هو لديك ، ليست امبراطورية .

ولكن رمادية ، رمادية بلون نسيج الصنكوت (تعيد التسجيل برفقة)
شيء ابيض اصبح ترابيا ، رمادية شيء منسي . (يدق التلفون ثانية .

لا يبدو انهما يلاحظان ذلك) وتلك هي القضية . هذا هو الخلاف بين

نوعي رمادية كل منا ، انت وانا ، يجب الا تنتظري مني الاجابة الجريئة

على اسئلة تهز المنزل بهدوء ! انفضي باشياء لم نقل خلال خمس عشرة

سنة ؟! هذه الفترة الطويلة التي جعلت من الصمت جدارا لا يستطيع

حتى الديناميت ان يفتح ثلثة فيه و (تلتقط السماعة) انا لست قوية

جريئة بما فيه الكفاية ، انا لست ..

كورنيليا (بصفت) : انت تتكلمين في التلفون !

جريس (في التلفون) : هللو . اوه . نعم انها هنا . انها ايزميرالدا

هوكنز .

كورنيليا (تخطف التلفون) : من ذاك ، ايزميرالدا ؟ ماذ تقولين ،

هل الفرقة مليئة بالنساء ؟ تبدو لي اصوات الثرثرة من هناك . ماذا

تحاولين ان تقولي لي ؟ هل انتهوا من الانتخاب اخيرا ؟ ماذا ماذا ماذا ؟

اوه هذا هو الجنون ! لا استطيع سماع كلمة واحدة مما تقولين . ان

صوتهم كهدير الرابع من تموز ! انه احتفال عظيم ! ها ها . الان حاولي

مرة اخرى وفمك مطبق على التلفون ! ماذا ماذا ! انا اريد ماذا ؟ الا

تستطيعين ان تكوني جديدة ؟ هل تركت دماغك ؟ (الى جريس بصوت

مرتاع) انها تريد ان تعرف ما اذا كنت اريد ان اكون نائبة للرئيس !

(تعود الى التلفون) ايزميرالدا هل تستمعين الي ؟ ماذا تقولين ! هل

هناك عجز جديد ؟ كيف يظهر ؟ لماذا ناديتني قبل التصويت ؟ بصوت

عال ، تكلمي بصوت عال رجاء واطبقي بفمك على التلفون كما لو انهم

يسترقون السمع ! من سال عما اذا كنت اقبل بشيابة الرئاسة ، عزيزتي ؟

اوه السيدة كولبي ، طبعاً ! تلك الساحرة المخاتلة ! ايزميرالدا ، اسمي

انا سوف اقبل - لا منصب غير اعلى المناصب ! هل فهمت ؟ انا لن

اقبل باي منصب عدأ .. ايزميرالدا (تضع السماعة في مستقرها) .

جريس - هل جرت الانتخابات ؟

كورنيليا (في حالة ذهول) : ماذا ؟ كلا هناك استراحة خمس

دقائق قبل الابتداء بها .

جريس - هل هناك اشياء لا تجري بصورة حسنة ؟

كورنيليا - « هل تقبلين ان تكوني مساعدة لثائب الرئيس » لقد

سألتنني « اذا لم يجر انتخابك نائبة للرئيس لسبب من الاسباب » ثم

اخذت صوتها كما لو ان شخصا اخطف منها السماعة او كمبا لو

احترق البيت !

جريس - كنت تصرخين مما يجعلني اظن انها قد فزعت .

كورنيليا - بمن تستطيعين الوثوق في هذا العالم ، علسي من

تستطيعين الاعتماد ؟

جريس - ارى احتمال ذهابك الى الاجتماع .

مكتبة عبدالقيوم

زوروا مكتبة عبد القيوم ببورتسودان تجدوا

احدث المطبوعات العربية ، وكذلك مجلة

الاداب البيروتية ومنشورات دار الاداب .

قصيدة الهبائي

- تنمة المنشور على الصفحة ٣٢ -

اليقظة الوافية بمعرفتنا المجردة للشيء ولتصوره . وبهذا الانفصال لحقيقة الشيء عن حقيقة تصوره ينفصل الاحساس بالشيء عن الاحساس بتصوره وبهذا الحضور لليقظة الوافية يتلاشى الاحساس كلية وتبرز الفكرة المجردة فقط .

وهو ما عنيته بقولي : ان تكون مكونات الموضوع مثيرة للاحساس لا يعني احاطتها بهالة عاطفية مفتعلة وانما ان تكون هي نفسها ذات صفة حسية فالبيروق والفلأع والمبشر والرحالة اشياء في ذاتها ليست بذات صفة حسية لم تصور تصورا حسيًا ولهذا لا يمكنها اشارة الاحساس الذي اراده الشاعر فاضطر الى ان يلفها بهذه الهالات ليصنعه صنعا .

ولهذا كله فالاحساس المفترض بالعداء لم يشعر به ملوالم فكان حقا ان القشعريرة تعترى التاريخ لا ملوالم ولا النجم !! وعلى هذا التشكيل تنتهي القصيدة بغير ان يكون للجو القصصي اقل ابر في اشارة احساس الفأريء ليتعاطف مع الفكرة لان الموضوع القصصي غير منسجم مع دوره ولهذا فشل الاسلوب القصصي في أداء دوره .

وهذا هو الحال في قصيدة لفلنتينا : الشخصية مجرد نكاة لسرد معلومات تاريخية وراء اجتماعية ولولا الاطالة لتبعتها ايضا .

هذه هي القضايا التي تبدو لي رئيسية في هذه المجموعة وهناك قضيتان فرعيتان ساعطي رأبي فيهما باختصار .

١ - الكسور العروضية

كثرت الكسور العروضية وبالاخص حيث استخدم الشاعر أسماء اجنبية وقال يبرر ذلك ان مفهومنا الموسيقي تطور في غير خروج على الاصل الا يوافقني الشاعر أنه خرج على الاصل في هذه الابيات : ولا الرسم حتى ولو كان رسامه ما يكن آن - ولا انثحت حتى ولو كان رودان - نحاه ولا اللحن حتى ولو كان شوبان - اطفال بلا اسنان مشبتين من اطرافهم على الواح نسق صدورهم لتجف فلوبهم الرطبة كالتين على الحصائر - انا ولا نلعنيني والخير والحب والجمال المضم . . ؟؟

٢ - الكلمات العامية

استعمل شاعرنا صلاح كلمات من العامية السودانية ويرر ذلك بأنه يستلهم الخيال الدارج ويستفيد من عمقيرة التناول الشعبي وهو تبرير على غير اساس فاستعمال كلمة عامية هنا او هناك ليس له صلة بالخيال الدارج والتناول الشعبي فإذا قال صلاح « فاطمة السمحة » هل يوحي باكثر مما لو قال (فاطمة الجميلة) ؟

فالكلمة العامية قد تحمل دلالات حية لدى من يتكلمها اما انرها لمن يجهلها فهو التشويش . كلمة « الجامد » مثلا استعمالها صلاح هكذا « قلب وطني الجامد » فنحن السودانيين نفهمها في العامية بمعنى القوة والشباب البطولي اما مفهومها لدى الفأريء العربي فهو اتججر فالجامد هو الشيء الذي لا حياة له كالحجر اي انها توحسي للفأريء العربي : بالموت والجمود .

وهي على كل حال حكاية الفصحى والعامية في القصة التي قتلت بحثا أما حين تدس انفا في الشعر فسوف يستحيل الى « الدوبيت » السوداني (والوال) المصري ولن يعود هو الشعر العربي - القديم او الحديث - بحال .

عبد الرحمن عبد الله

وادمدني - السودان

كورنيليا - اعتقد ان عدم وجودي هناك اكثر صوابا . جريس (تنهض تانية) : هل استطيع الانصراف الان ؟ كورنيليا - كلا . ابقى هنا ! جريس - اذا كان ذلك طابا أنا . .

كورنيليا - ذلك امر ! (جريس تجلس ونفلق عينيها) عندما جئت لأول مرة الى هذا البيت هل تعلمين اني تم اكن اتوقعك ؟

جريس - اوه ولكن كورنيليا دعني الى هنا . كورنيليا - كنا نعرف بعضنا البعض بصعوبة .

جريس - لقد التقينا في الصيف السابق عندما كان رالف . . كورنيليا - يا للحياة ! نعم التقينا في سواني حيث كان مرشدا

سياحيا .

جريس - كان مريضا انذاك . . .

كورنيليا - انا افكر كم هو جميل ذلك الفرام ، الفتاة الوديعه التي لا تجد من تستطيع الانكاء عليه ، من يستطيع حمايتها ! وبعد شهرين من ذلك سمعت من كلارا بيل دريك انه قد توفي . . .

جريس - كتبت الي رسالة لطيفة ، تقولين فيها كم انت وحيدة منذ فعدان والدتاك مع الحث على الاستمرار هنا لعين زوال الصدمة . كان من الظاهر فهمك لمدي حاجتي الشديدة الى استرجاع الزمالات القديمة لفترة من الوقت . لقد كرهت الحضور ، لم اكن حتى كتابك الرسالة الثانية . .

كورنيليا - بعد ان نلقت رسالتك كنت بحاجة الى الحث .

جريس - ساظل صامتة بالنسبة لرغبتني . لقد حضرت فقط بقصد البقاء لبضعة اسابيع . لقد كنت خائفة من الاحتفاظ بالترحاب بي . كورنيليا - كم كنت لا تبصرين مدى رغبي يائسة للاحتفاظ بك هنا للابد .

جريس - اوه لقد رأيت انك - (يرن اللفون . تخطف السماعه) منزل الانسة سكوت . نعم انها هنا .

كورنيليا (ترفع السماعه الى اقصى مداها) كورنيليا سكوت تتكلم ؟ اوه . انك انت ايزميرالدا حسنا . ماذا كانت النية ؟ انا لا اصدفك ، ببساطة . . لا اصدفك بك (جريس تجلس بهدوء الى المنضدة) انتخبنت السيدة هورنسي ؟ حسنا هناك حصان اسود لك ! اقل من سنة في الدورة . . هل ألفت باسمي في الاقتراع ؟ اوه انا اعلم ، لكنني اقول لك استرجعي اسمي اذا - كلا كلا لا اريد الايضاحات ، انها ليست مشكلة ، عندي الكثير الان . انت تعرفين بانني سادخل في جمعية فتيات بارونزافو رينيميد ! اجل انها نأسست ، لدي خط مباشر مع ايرل اوف - كلا انه يبدو مستقيما ، لقد نأسس خط واضح ومن نم وبالطبع انا صانحة ايضا للاشراك في « كولونيل داماس » وفي « هيجنوت » ، ثم ماذا عن نشاطاتي الاخرى . . . وهلم جرا ، لماذا لا استطيع رفعه ان . . ارادوا . . طبعاً ساستقبل من اللجنة المحلية ، اوه نعم انا ! سكرتيري جالسة الى اليمين مني ، لديها فلمها ودفتر ملاحظاتها وساملي عليها خطاب استقالتني من اللجنة المحلية حال انهاء هذه المكالمة . اوه كلا كلا ، انا لست مجنونة ، غير مسهترة ابدا ، انا لا زلت - ها ها ! اتسلى قليلا . . السيدة هورنسي؟ لا شيء ينجح مثل الاعتدال اليس كذلك ؟ شكرا مع السلامة ايزميرالدا . (تضع السماعه في حالة ذهول . جريس تنهض) .

جريس - دفتر وقلم ؟

كورنيليا - اجل دفتر وقلم . . . ساملي خطابا . . .

جريس تترك المنضدة . في نهاية الرفعة المضيئة تلتفت نحو اكناف كورنيليا العجفاء ، وباستخفاف يظهر ابتسامة غامضة للحظات على شفهيها ، ليست خبيثة تماما ولكنها ليست ودية ايضا ، ثم تجتاز الرفعة المضيئة وبعد لحظة يأتي صوتها من خارجها (: جريس - كم هي وردة محبوبة ! واحدة لكل سنة .

- ستار -

ترجمة مزاحم الطائي

بغداد